

## إشكالية الهوية في رحلة الأمير فخر الدين المعني إلى إيطاليا (1613-1618م)

## بين تحصين النسق وتهميش المرجعية (مقاربة ثقافية)

نضال "محمد فتحي" الشمالي\* وعباس عبد الحليم عباس\*\*

تاريخ الاستلام 2018/10/10

تاريخ القبول 2019/4/16

## ملخص

تكتسب هذه الورقة أهميتها من زاويتين؛ الأولى: تناولها لنص رحلي عربي مهمش تولد في القرن السابع عشر الميلادي. والثانية: استثمارها لمقولات النقد الثقافي في استيضاح مكونات النص بوصف النقد الثقافي شريكاً للنقد الأدبي.

إن النص الرحلي مدار البحث لا يعود لرحالة أو جغرافي أو أديب أو سفير بل لأمير عربي هو فخر الدين المعني الثاني (1634م) الذي قام برحلته إلى إيطاليا ما بين عامي 1613-1618م، وهي رحلة اضطر للقيام بها حقناً للدماء وهرباً من ترصد رجالات الدولة العثمانية له، وهو من أسس مشروعاً نهضوياً في إمارته على صيدا وبيروت والبقاعين وطرابلس، وهو مشروع قوامه الاهتمام بالعمران وحصين القلاع وتطوير الزراعة وتوسيع آفاق التجارة مع الفرنجة وتوفير الثروات والاستفادة من تجارب الأوروبيين، إلا أن ذلك لم يرق لبعض رجالات الدولة العثمانية فحطموا تجربته الرائدة في مهدها وهددت حياته، لذا اختار الارتحال إلى إيطاليا لبعض الوقت، وهذا الارتحال دفعه لتدوين أبرز مشاهداته ذات البعد النهضوي المدني والحداثي من موقعه الأدنى على هامش الحضارة الحديثة، ورغم ما شاب لغته من عامية شامية محكية تدل على تفشي الجهل والتجهيل، إلا أن رحلته شملت إشارات ثقافية مهمة لا يمكن تمثيلها إلا بمقولات النقد الثقافي، أقلها إطلاع الأمير فخر الدين المعني على جزء وافر من أسرار تفوق الحضارة الأوروبية قبل ما يزيد على قرن ونصف من حملة نابليون على مصر عام 1798م.

من هنا فإن هذه الدراسة تتوسل بمقولات النقد الثقافي بوصف أدب الرحلة حادثة ثقافية مكتنزة بأسئلة الهوية والغيرية، وبالنساق الثقافية الظاهرة والمضمرة التي تتشكل في عبارات الرفض والدم والإكراه حيناً، وفي عبارات القبول والتمجيد والاحتفاء حيناً آخر. إن رحلة الأمير فخر الدين المعني لتمثل لقاء حضارياً مبكراً بين الشرق والغرب عزّ نظيره في أدب ما قبل النهضة العربية. كما أنه اختزال

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2020.

\* قسم اللغة العربية، جامعة البلقاء التطبيقية، عمان، الأردن.

\*\* قسم اللغة العربية، الجامعة العربية المفتوحة، عمان، الأردن.

للسلوكات والممارسات والمفاهيم الثقافية السائدة في عصره، مما يغرينا بإنجاز مقارنة معرفية في ضوء معطيات الثقافة المنتجة لها دون الانفلات من السياقات التاريخية والسياسية والاجتماعية للرحلة.

الكلمات المفتاحية: أدب الرحلات، الأنساق الثقافية، القرن 17م، الحضارة الأوروبية، الآخر.

## المقدمة

حُسم الجدل بين مفاهيم الخطاب في الأدبيات المعاصرة باستبعاد الكثير منها لحساب عمومية الخطاب وإخضاعه لمنطق اللغة فحسب، و"في العمومية تختفي الخصوصية"<sup>(1)</sup>، ويصبح البحث عنها أمراً شاقاً وغريباً، لأن الألفاظ والتراكيب هي النهج المتبع والعلم المحبب إلى النفس، أما المضامين سواء كانت دينية أو أخلاقية ... فلها مجالاتها التي تدرسها خارج إطار علم اللسان. ويكمن السبب في تفوق النزعة الشكلية فيه.

لقد استقل علم اللسان بنفسه، وتركت المهام المتبقية للعلوم الإنسانية. أما الخطاب فغداً علماً خالصاً من علوم اللسان بصرف النظر عن مفردات المعنى والمغزى والمسبب؛ لذا كانت النظرة إلى النصوص نظرة يشوبها بعض النقص. فكان لا بد من إيجاد البديل الذي يحتضن ويوسع نظره في الأفق، وهذا ما تحقق في الدراسات الثقافية Studies Culture، وهي دراسات تسعى إلى "استجواب منظومة القيم والأعراف السائدة في الثقافة"<sup>(2)</sup> تعويضاً لمبدأ التحيز إلى لغة الخطاب.

يقرّ عبد الله الغدامي ابتداءً بأن الدراسات الثقافية ممثلة بالنقد الثقافي هي "تغير في منهج التحليل يستخدم المعطيات النظرية والمنهجية في السوسولوجيا والتاريخ والسياسة من دون أن يتخلّى عن مناهج التحليل الأدبي والنقدي"<sup>(3)</sup>، إنه منهج رديف يقف إلى المدراس النقدية وقفة المتمم ذي النظرة الأفقية الواسعة والنظرة الرأسية المتعمقة. والنقد الثقافي هو ذلك النقد الذي "ينفتح إلى ما هو غير جمالي، فلا يُؤطر فعله تحت إطار تصنيفات النص الجمالي، ويستفيد من مناهج التحليل المعرفية من مثل تأويل النصوص ودراسة الخلفية التاريخية، إضافة إلى إفادته من الموقف الثقافي النقدي والتحليل المؤسسي"<sup>(4)</sup>.

إن النقد الثقافي يتناسج مع المناهج الأخرى "فيتناول النص مرتقياً على مدارجه إلى فضاء ما وراء النص، فالنقد الأدبي يقلب النصّ وفق مراتب متناضدة الشرح والتفكيك والتأويل وإعادة البناء، مستنجداً بزداد ثقافي متنوع فاستثمر النقد الأدبي المكون الثقافي لإغناء إنجازاته، أما النقد الثقافي فغاياته استكشاف المناخ الرمزي الذي ينشأ فيه النص"<sup>(5)</sup>، إضافة إلى تحديد المناخ

السيمولوجي الذي يشكل ذهنياً المحددات الحقيقية والفاعلة لأنساق الإبداع وكيفيات التداول وجماليات التلقي.

أما عن نظرة المنهج الثقافي إلى النص الأدبي " فالنص الأدبي جزء من سياق تاريخي يتفاعل مع مكونات الثقافة الأخرى من مؤسسات ومعتقدات وتوازنات قوى وما إلى ذلك"<sup>(6)</sup>، لذا سيدرس النص الأدبي إلى جانب الوضع التاريخي الذي سينتج عنه، لكون النص الأدبي والسياقات التاريخية التي أنضجته من العناصر التكوينية فهما متكاملان والسياق التاريخي محتضن للنصوص الأدبية وعامل فعال فيها، وهذه النظرة تحقق مبدأ التاريخانية الجديدة<sup>(7)</sup> (New Historicism) أو النزعة التاريخية (Historicism)، فالتاريخ مبدأ فعال في تفسير كثير من الظواهر المرتبطة بالإنسان تأسيساً لوعي نقدي يثمن تاريخية النص الأدبي، والتاريخانية الجديدة مبدأ أفرز عبر تفاعله مع النصوص مصطلح (الجماليات الثقافية Cultural Poetics) على يد ستيفن غرينبلات، الذي كان قد أطلق عام 1982 مصطلح التاريخانية الجديدة "ليصف به مشروعه ربما في خطاب النهضة، خاصة الانجليزي أو الشكسبييري تحديداً كما هو عنده، ولقد لاقى المصطلح قبولاً عريضاً لدى جماعات النقد مابعد البنيوي، ونظريات الخطاب، إذ عبر الدارسون الحدود فيما بين التاريخ والأنثروبولوجيا والفن والسياسة والأدب والاقتصاد. وتمت الإحاطة بقاعدة اللاتداخل التي كانت تحرم على دارسي الإنسانيات التعامل مع أسئلة السياسة والسلطة، ومع ما هو في صلب حياة الناس"<sup>(8)</sup>.

يلخص الغدامي<sup>(9)</sup> التساؤلات والأفكار التي ينهض بها النقد الثقافي، على النحو الآتي:

- هل هناك أنساق ثقافية تسربت من الشعر وبالشعر لتؤسس لسلوك غير إنساني وغير ديمقراطي؟
- البحث في العيوب النسقية التي تتجلى في سلوكنا الاجتماعي والثقافي بعامه.
- الحد من البحث عن (جماليات) النصوص، والالتفات إلى العيوب النسقية المتوسلة بالجمالي (الشعري والبلاغي). وليس القصد إلغاء المنجز النقدي الأدبي؛ لأن الثقافي يتعاون مع النقدي الأدبي.
- إن ما يتراءى لنا جمالياً وحدائياً في مقياس الدرس الأدبي هو رجعي ونسقي في مقياس النقد الثقافي.. وكل دعاوى الحداثة سيتضح أنها لخطاب لفظي لا يؤدي إلا إلى مزيد من النسقية الرجعية.

بناء على ما سبق فإن المنهج الثقافي منهج يبحث مرحلة ما بعد الأدبية ليكشف أشياء قابعة وراء الأدب أو تحته. فبعد أن كان القول الأدبي في نظر (ريتشاردز) عملاً، فقد تحول في نظر (رولان بارت) إلى نص، ثم حسم (فوكو) الأمر عندما نقل النظر من (النص) إلى (الخطاب)

فأسس بذلك وعياً نظرياً في نقد الخطابات الثقافية والأنساق الذهنية، فكانت أولى ممارسات النقد الثقافي عندما "جرى الوقوف على (فعل) الخطاب وعلى تحولاته النسقية، بدلاً من الوقوف على مجرد حقيقته الجوهرية، التاريخية أو الجمالية"<sup>(10)</sup>.

إن المعضلة التي تأسس عليها رد فعل (الثقافي) ماثلة في نظرة النقد الأدبي إلى النص بوصفه قيمة جمالية يجري دائماً السعي لكشف هذا الجمالي، وتبرير أي فعل للنص مهما كان، تحت مبدأ الأصل الجمالي، مما جعل الجمال منتجاً بلاغياً محتكراً، فصار للجمالي شرط مؤسساتي، يصنعه الأديب ويسوقه النقد ثم يعممه. وكانت النتيجة أن هذا الالتزام المبدئي حرم النقد من القدرة على معرفة عيوب الخطاب، ومن ملاحظة تجاوزات المؤسسة الثقافية وحيلها في خلق حالة من التدجين والترويض العقلي والدوقي لدى مستهلكي الثقافة<sup>(11)</sup>.

مما سبق ظهرت الحتمية القائلة بضرورة تحريك أدوات النقد باتجاه فعل الكشف عن الأنساق وتعرية الخطابات المؤسساتية والتعرف إلى أساليبها في ترسيخ هيمنتها وفرض شروطها على الذائقة الحضارية للأمة. إن أهمية الثقافة في نظر الدراسات الثقافية تبرز من حقيقة أن الثقافة تعين على تشكيل التاريخ وتنميته، وأفضل ما تفعله الدراسات الثقافية هو وقوفها على عمليات إنتاج الثقافة وتوزيعها واستهلاكها، وهذا يستحضر نظرية الهيمنة التي طرحها أنطونيو غرامشي<sup>(12)</sup> من قبل والتي يؤكد فيها أن السيطرة لا تتم بسبب قوة المسيطر فحسب، ولكنها أيضاً تتمكن منا بسبب قدرتها على جعلنا نقبل بها ونسلم بوجاهتها، لذلك فقد وسّعت الدراسات الثقافية المجال ليشمل العرق والجنس والجنوسة والدلالة والإمتاع<sup>(13)</sup>.

ومن الملحوظات التي أثارها النقد الثقافي أن هناك أنماطاً من الأنساق الثقافية جرى تثبيتها لمجرد أنها جماهيرية وإمتاعية. وهذا فعل ينقصه الحس النقدي من حيث إنه لا يلحظ دور لعبة الإمتاع في ترويض الجمهور ودفنهم إلى قبول الأنساق المهيمنة<sup>(14)</sup>.

يطرح (فنسنت ليتش V. Leitch) في كتابه (Cultural Criticism, 1992) مصطلح النقد الثقافي<sup>(15)</sup> مسمى مشروع النقد بهذا الاسم تحديداً، وقد جعله رديفاً لمصطلحي ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية حيث نشأ الاهتمام بالخطاب بما أنه خطاب، وهذا ليس تغييراً في مادة البحث فحسب، ولكنه أيضاً تغيير في منهج التحليل يستخدم المعطيات النظرية والمنهجية في السوسيولوجيا والتاريخ والسياسة والمؤسساتية، من دون أن يتخلى عن مناهج التحليل الأدبي والنقدي.

وخلاصة<sup>(16)</sup>، فالنقد الثقافي لا يُؤطر فعله تحت إطار التصنيف المؤسساتي للنص الجمالي، بل يفتح على مجال عريض من الاهتمامات إلى ما هو غير جمالي في عرف المؤسسة، مستفيداً من مناهج التحليل العرفية من مثل تأويل النصوص ودراسة الخلفية التاريخية، إضافة إلى إفادته

إشكالية الهوية في رحلة الأمير فخر الدين المعني إلى إيطاليا (1613-1618م) بين تحصين النسق وتهميش المرجعية (مقاربة ثقافية)

من الموقف الثقافي النقدي والتحليل المؤسساتي، وتركيزه الجوهري على أنظمة الخطاب وأنظمة الإفصاح النصوي، كما هي لدى بارت وديريدا وفوكو.

#### - النسق الثقافي:

إن منهجية النقد الثقافي تتيح لنا كشف حركة النسق بوصفه مضمراً يتحرك على نقيض المعن والواعي، ويجيز حتى خطابات المعارضة الفكرية والثقافية لتكون خطابات نسقية، وهذه هي القيمة المنهجية العملية لهذا النقد منذ كان يكشف لنا ما لا يكشفه النقد الأدبي<sup>(17)</sup>. ويتحقق النسق من خلال جملة ثقافية تكشف عنه على أن تكون محدثة بلسانه، ونميزها عن الجملة النحوية ذات القيمة التداولية، وعن تلك الجملة ذات المعنى البلاغي، وعبر هذا التمييز لا تكون (الجملة الثقافية) جملة نحوية، بل قد تطول حتى لتصبح مقطعاً شعرياً أو سردياً، وقد تقصر حتى لتكون شبه جملة، وبما أنها تكشف النسق المضمّر وتعبّر عنه فإنها لهذا ذات دلالة نسقية، لا تداولية ولا بلاغية<sup>(18)</sup> والدلالة النسقية دلالة "ترتبط في علاقات متشابكة نشأت مع الزمن لتكون عنصراً ثقافياً أخذ بالتشكل التدريجي إلى أن أصبح عنصراً فاعلاً، لكنه وبسبب نشوئه التدريجي تمكن من التغلغل غير الملحوظ وظل كامناً هناك في أعماق الخطابات، وظل ينتقل ما بين اللغة والذهن البشري فاعلاً أفعاله من دون رقيب نقدي لانشغال النقد بالجمالي أولاً، ثم لقدرة العناصر النسقية على الكمون والاختفاء"<sup>(19)</sup> وحتى نطلق على أداء ما مسمى النسق لا بد أن تتوفر فيه الشروط التالية<sup>(20)</sup>:

- أ- لا بد من وجود نسقين في نص واحد، أو ما هو في حكم النص الواحد.
- ب- يكون أحد النسقين نقيضاً للآخر ومضاداً له، على أن يظل النسق الناقض مضمراً مختبئاً ويحتاج كشفه إلى الأخذ بمبدأ النظر النقدي.
- ج- يشترط في النص الحامل للنسقين أن يكون مما تتوفر فيه سمات النص الأدبي الجمالية الإبداعية، من حيث إن جمالية النصوص هي الوسيلة التي تتوسل فيها الثقافة لتمرير أنساقها المضمرة.
- د- لا بد أن يكون النص ذا جماهيرية وشيوع، وهذا سيكون دليلاً على تمكن النسق من التغلغل في جموع مستهلكي الثقافة.

وحتى لا تتداخل الدلالة النسقية في مفهومها بالدلالة الضمنية، يلمح عبد الله الغدامي إلى أن الأخيرة هي من معطيات النص كتكوين دلالي إبداعي، وهي في وعي الباحث والمبدع وتدخل ضمن إطار الإحساس العام للقارئ وتخضع لشروط التذوق، أي أنها في محيط الوعي النصوي العام، أما الدلالة النسقية فمضمرة وليست في محيط الوعي، ناقصاً منطق النص ذاته، ودلالاته

الإبداعية، الصريح منها والضمني، وهذه المضمرات النسقية تتسرب فينا عبر جيلها<sup>(21)</sup>، من هنا كان لزاماً أن لا ننظر للنص بوصفه مجتلى أدبياً فحسب بل بوصفه حادثة ثقافية أيضاً.

إن مهمة النقد الثقافي قطعاً هي ليست نقد الثقافة هكذا بإطلاق، أو مجرد رصدها ودراستها وتحليل ظواهرها، بل نقد المستهلك الثقافي الذي يخبئ الأنساق المضمره والناقصة. لقد بات النسق مفهوماً مركزياً في مشروع النقد الثقافي له قيم دلالية وسمات اصطلاحية خاصة نجمها على النحو التالي<sup>(22)</sup>:

- 1- يتحدد النسق عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد، والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد قائم على التناقض.
- 2- قراءة النصوص تكون من وجهة نظر النقد الثقافي أي أنها حالة ثقافية.
- 3- النسق من حيث هو دلالة مضمره فإن هذه الدلالة ليست مصنوعة من مؤلف، ولكنها منكتبة ومنغرسه في الخطاب، مؤلفتها الثقافية.
- 4- النسق ذو طبيعة سردية، يتحرك في حبكة متقنة، وهو خفي ومضمّر وقادر على الاختفاء، ويستخدم أقنعة كثيرة (الجمالية).
- 5- حول شرط وجود نسقين متعارضين في نص واحد، لا نعني (النص) بمعناه الأول، وإنما المقصود هو (الخطاب) أي نظام التعبير والإفصاح، سواء أكان في نص مفرد/ طويل أو مركب أم في مجموع إنتاج مؤلف ما أم في ظاهرة سلوكية أو اعتبارية.

وما سبق يؤكد أننا في كل ما نقرأ وما ننتج وما نستهلك هناك مؤلفان اثنان: أحدهما المؤلف المعهود والآخر الثقافة نفسها. إن مشروع هذا النقد يتجه الى كشف وسائل الثقافة في تمرير أنساقها ولها الغلبة دائماً وعلامتها هي اندفاع الجمهور الى استهلاك المنتج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق. إن تأتي وظيفة النقد الثقافي من كونه نظرية في نقد المستهلك الثقافي، وليست في نقد الثقافة بالإطلاق، أو مجرد دراستها ورصد ظواهرها، ونعني بذلك الاستقبال الجماهيري والقبول القرائي لخطاب ما، فالنقد الثقافي في فرع من فروع النقد النصوي، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغته من حيث دور كل منها في حساب المستهلك الثقافي الجمعي، وهذا ليس معنياً بكشف الجمالي، كما هو شأن النقد الأدبي، وإنما همه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي والجمالي، ما يجعله ممارسة نقدية متطورة ودقيقة وخطاباً يتجاوز الحداثة وما بعدها<sup>(23)</sup>.

### الأمير فخر الدين الثاني المعني (1572م – 1635م):

هو فخر الدين الثاني بن قرقماس بن فخر الدين الأول من آل معن الذين دام حكمهم في لبنان حتى أواخر القرن السابع عشر، وهو من أكبر أمراء هذه الأسرة من دروز الشوف بلبنان، وكان لبعض أسلافه في أيام الحروب الصليبية بسورية شأن. ولد في بعقلين حاضرة الشوف وثبتت له إمارتها بعد أبيه، ووالاه الحرافشة (حكام بعلبك في عهده) وعظم أمره، وكان قد شهد المجازر البشعة التي ارتكبتها والي مصر العثماني إبراهيم باشا بحق أهالي الشوف عام 1585م، فبقيت تلك الصور ماثلة في ذاكرته<sup>(24)</sup>، وناوأ حكومة الأستانة واستولى على صيدا وصفد وبيروت. وجردت عليه الحكومة التركية قوة لا قبل له بها، فركب البحر لاجئاً إلى إيطاليا، وكان له اتصال بال ميديتشي أمراء فلورنسة، فنزل عندهم وأقام خمس سنوات، ثم عفت عنه الحكومة العثمانية، فعاد إلى لبنان وأعيد إلى إمارته، وأنعم عليه بلقب "سلطان البر". وامتدت سلطته من حلب إلى القدس. وقد باشر الأمير فخر الدين شؤون الحكم بإدارة إقطاعية المعنيين (منطقة الشوف) عام 1590م، إبان حكم السلطان العثماني محمد الثالث (1596م – 1603م). وتسنى له منذ العقدين الأولين من حكمه أن يخضع لسلطته أراضي تمتد من نهر الكلب إلى جبال الكرمل. ضاماً إلى ممتلكاته شمال فلسطين ومدينتي صيدا وبيروت في ظل انشغال السلطان العثماني أحمد الأول بمحاربة العجم. وفي عام 1608م عقد فخر الدين معاهدة تجارية مع دوق تسكانا الأكبر فرديناند الأول. ويظن أن المعاهدة تضمنت بنوداً سياسية سرية موجهة ضد الحكومة العثمانية. كما عقد الأمير عام 1609م معاهدة تجارية حربية مع الدوق قزما الثاني دوق تسكانا، فلفت أنظار الحكام إليه فخافوا من سطوته<sup>(25)</sup>، وقد توقع الأمير نشوب صراع مسلح ضد العثمانيين فأسس جيشاً نظامياً وحصن القلاع الواقعة على حدود ممتلكاته. واقتصر لبنان لحكومة السلطان العثماني، في غضون تلك السنوات، على دفع أتاوة صغيرة فقط. وضع الأمير نصب عينيه بناء دولة قوية تستطيع الوقوف في وجه الحملات العثمانية على بلاده دون أن يفرط بولائه للباب العالي، لقد أسس جيشاً قوياً تعداده مئة ألف جندي، وجهر لهم القلاع والحصون وشحنها بالآلات الحرب والحصار فلفت الأنظار إليه، وقصده التجار من دول أوروبا<sup>(26)</sup>.

لقد أقلقت السياسة الداخلية والخارجية المستقلة لفخر الدين حكومة الأستانة، فوقف أحمد حافظ باشا حاكم دمشق في صيف 1613م ضد أمير لبنان بأمر من السلطان العثماني، وهب كل سكان البلاد ضد جيش الأستانة، ولكن رجحت كفة السلطات العثمانية، وفي 13 من أيلول عام 1613م غادر الأمير فخر الدين لبنان إلى إيطاليا لاجئاً سياسياً واجتاحت القوات العثمانية لبنان، وفي عام 1618م أذن لفخر الدين بالعودة إلى لبنان، وكانت فترة حكمه ما بين 1618م إلى 1632م فترة ازدهار لإمارة لبنان<sup>(27)</sup>. وفي عام 1624م أنعم عليه السلطان العثماني بولاية عربستان من حدود حلب إلى العريش ولقبه بـ "أمير البر" وهو لقب لجده فخر الدين الأول.

وعلى إثر ذلك طاف بالبلاد التي أسندت إليه إدارتها، فشيّد القصور وحصّن القلاع، وطوّر الزراعة وعقد المعاهدات التجارية مع قناصل الفرنجة وانصرف إلى تعمير البلاد وتوفير الثروات فيها مقتدياً بالأوروبيين في تحديث بلادهم وترقيتها<sup>(28)</sup>. يقول محمد كرد علي في هذا الصدد: "لو لم تصرف الدولة العثمانية قوتها كلها في قتاله لعمل في الشام في القرن الحادي عشر ما عمله محمد الكبير في مصر في القرن الثالث عشر"<sup>(29)</sup>.

لقد حسّن الأمير فخر الدين عاصمته بيروت وبنى الأبراج والحصون، وحصّن الميناء لحماية التجارة من السفن المالطية واقتنى أسطولاً صغيراً، ولا تزال أطلال قصره ذي الحدائق والحمامات وحديقة الوحوش تشهد إلى الآن على براعته وبعد نظره<sup>(30)</sup>. وتم الاعتراف بسلطة الأمير فخر الدين، حتى أنّ أمراء جبال لبنان كانوا يسعون إلى أن يكونوا تحت حمايته ويتوجهون بشكواهم إليه لا إلى والي دمشق، وكان البشوات الأتراك يهابونه ويتجنبون إزعاجه<sup>(31)</sup>. وبسرعة نمت رفاهية القبائل التابعة له وقوي نفوذه وانتشر في كل سورية، وكان في وسعه بسهولة أن يصبح رئيساً لفيدرالية القبائل المحاربة في سورية ويطيح بالحكم العثماني<sup>(32)</sup>.

لقد شكلت هذه المنجزات النهضوية عبئاً على الباب العالي، وجعلت الأمير نهباً للشايات من خصومه الذين نهّوا لخطورة ما يقوم به من مساعٍ جادة نحو الاستقلال، فشرعت الإدارة العثمانية تعدّ العدة للإجهاد عليه، وتحطيم تجربته الرائدة في مهدها، فكلف أحمد الكجك أحد رجاله السابقين بالقبض عليه، وحوصر ثم قبض عليه وحُمل إلى الأستانة مقيداً مع ولدين له عام 1635م وسُجّن فترة، ثم عفا عنه السلطان مراد الرابع (1623م-1641م) واستبقاه في الأستانة وعامله بحفاوة وكرم، ولكن لما بلغ السلطان أن أحد أحفاده ثار ثانياً ونهب بعض مدائن الشام<sup>(33)</sup> أمر بقتله وولديه، فقتلوا في 13 من نيسان لعام 1535م، وكان شجاعاً باسلاً، طموح النفس عزيزها، كثير الفتك بأعدائه، محباً للعمران، أبقى آثاراً تدلّ عليه وبقيت الإمارة في نريته مئة سنة أخرى<sup>(34)</sup>. وبذلك يكون الأمير فخر الدين قد عاصر خمسة سلاطين عثمانيين هم: محمد الثالث وأحمد الأول ومصطفى الأول وعثمان الثاني ومراد الرابع.

#### السياق السياسي لرحلة الأمير فخر الدين:

جاءت هذه الرحلة إلى إيطاليا جبراً على شاكلة اللجوء السياسي، فالوشايات المتكررة والأحقاد الدفينة لدى الولاة والباشوات العثمانيين وعلى رأسها وشايات والي دمشق أحمد باشا الحافظ لم تترك خياراً للباب العالي إلا توظيف القوة، إذ سعى والي دمشق سعياً حثيثاً لإضعاف الأمير فخر الدين وصرف حلفائه عنه، وتقريب خصومه، وتحريض الباشوات عليه<sup>(35)</sup>، وكان له ما أراد، إذ كلف بمعية أربعة عشر باشا آخر بالخروج في حملة عليه بأمر من الباب العالي، واجتاحوا لبنان بمساعدة خصومه عام 1613م، ولاتقاء غضب الباب العالي توجه الأمير في رحلة إلى إيطاليا



إشكالية الهوية في رحلة الأمير فخر الدين المعني إلى إيطاليا (1613-1618م) بين تحصين النسق وتمهيش المرجعية (مقاربة ثقافية)

وكلف أخاه يونس بإدارة شؤون الدولة، ولتهدئة الباشوات قام هذا الأخير باستمالة قلوبهم بالهدايا والأعطيات<sup>(36)</sup>. وغادر الأمير فخر الدين لبنان خفية على متن سفينة هولندية ترافقها سفينتان فرنسيتان تقل أهله ومعاونيه إلى مدينة ليفورنو الإيطالية التابعة لإمارة تسكانا، ولم يعد الأمير لموطنه إلا بعد أن عزل والي دمشق وأُنزل للأمير بالعودة.

أمضى الأمير فخر الدين في منفاه الاختياري قرابة خمس سنوات وشهرين، وقد أثار ظهور الأمير الحاكم لقبيلة الدروز، التي كانت لا تزال مجهولة، فضول أوروبا، فأعد له البلاط الفلورنسي استقبلاً حافلاً<sup>(37)</sup>، وتنقل بين مدن تسكانا وصقلية ونابلي وإسبانيا، وقد جاء مسار رحلته الذي بدأه في 12 يوليو 1613م حافلاً وحسب التسلسل التالي: صيدا، كنديا، صقلية، سردينيا، تورسكا، ليفورنو، بيزا، مرجانة، فلورنسا، ليفورنو، مسينا، لبنان (للأطمئنان على إمارته)، مسينا، الدامور، رأس الخنزير، بر القرمان (تركيا)، زنته، كفلونية، مالطة، صقلية، بليرمو، نابلي، مسينا، عكا (9 شوال 1027هـ = 1618م)، وقد سمح له هذا التنقل بالاطلاع على جوانب مهمة من مدينة الغرب، فسجل انطباعاته عنها. لقد "كان لهذه التجربة الأوربية أثرها العميق في سعي الأمير فخر الدين إلى اللحاق بدول أوروبا الناهضة واقتباس ما يفيد بلاده من منجزاتها"<sup>(38)</sup>.

لقد اكتسبت هذه الرحلة أهميتها من أنها وثيقة نادرة في بابها، فهي من أقدم المدونات العربية التي وصفت جوانب مهمة من مدينة أوروبا في مطلع القرن السابع عشر، "حيث إن بعض المدن التي زارها الأمير أو أقام فيها شهدت بدايات النهضة الأوروبية الحديثة التي عمّت آثارها فيما بعد أرجاء المعمورة كافة. فالملاحظات المدونة في هذه الرحلة تدعونا إلى القول: إن التفاوت الحضاري بين العرب والغرب آنذاك لم يكن كبيراً، بل ربما كان بوسع العرب تجاوزه لو لم يقيم العثمانيون بقطع الطريق على أية تطورات ترمي إلى تأسيس نهضة الغرب، أو تستفيد من بعض منجزاتها.

وما يزيد من أهمية هذه الرحلة أن صاحبها رجل دولة محنك، ومحارب لا يُشق له غبار؛ إن لم يتوان عن الوقوف في وجه أكبر إمبراطورية في الشرق، ليس حياً بالحرب، بل دفاعاً عن شعب أرهفته المظالم، وأنهكته الحملات العسكرية المتوالية التي طالما شنها عليه الحكام والولاة العثمانيون بذرائع مختلفة وأسباب واهية. لذلك لم يجد بداً من بناء دولة عصرية متقدمة بوسعها أن تضع حداً لخطر القوة التي يمارسها العثمانيون، والحفاظ في الوقت نفسه على علاقات طيبة مع إسلامبول"<sup>(39)</sup>. ومن الجدير بالذكر أن لغة هذه الرحلة حافلة بالأخطاء اللغوية وأسلوبها التصويري فيه ضعف، وقد جاء ذلك انعكاساً لحالة الانحدار في أساليب الكتابة آنذاك في زمن محكوم لقيم الجهل والتجهيل بين الخاصة والعامة على السواء، مما يفتح مجالاً خصباً للغويين لدراسة اللهجات وتطور أساليب التعابير في القرن السابع عشر الميلادي. إلا أن ذلك لا يقلل من شأن هذا النص الذي يدون شيئاً عن مدينة أوروبا في عصورها الحديثة في سعي الأمير فخر

الدين "لتأسيس مشروع نهضوي شامل كان الأمير فخر الدين قد شرع في تنفيذه خلال العقد الأول من القرن التاسع عشر، إلا أن الظروف السياسية من حوله كانت له بالمرصاد، ويسقط هذا المشروع خسر الشرق العربي نحو 200 عام من مواكبة الحداثة"<sup>(40)</sup>.

### ثنائية النسق:

تُعرف الهوية بأنها "مجموعة من الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد والاتجاهات والقيم وأساليب التفكير التي تميز مجتمعاً عن آخر، وجوهرها هو الثوابت الراسخة في الثقافة"<sup>(41)</sup>. والهوية الثقافية زاد الأنا بها تتحقق أنساقها وأفعالها، وقد برزت في هذه الرحلة ثنائية الأنا والأخرغياً وحضوراً، فمع أن الرحلة كلها تدور حول تصوير الآخر الحاضر وتقدمه وشروط مدنيته ورقية في مشهد يحسب على التفاعل الحضاري المبكر بين الشرق والغرب، إلا أن (الأنا) المقصاة المغيبة عن نصه وتعطل فعل الهوية كانت تدب في وعيه المضمّر، وتلمح لنسق ثقافي قوامه خوف المبدع من السلطة، فالأنا منقسمة بين حرية الإبداع والرقى، والخوف من جبروت السلطان جراء تفوقه، مما قاد إلى خفوت جلي لأسلوب المقارنة والشكوى، إلا أنه سرى مضمراً بين ثنايا ما رصد وصور، وما اختياريه لبعض مظاهر التقدم عند الآخر إلا نقد مضمّر لهويته التي تعتمد تهميشها وإشكالية في مرجعيته، فهويته منجاة وهلاك في آن، وقد أوقع ذلك الأنا في حالة من الاغتراب والازدواج وهو اغتراب نابع من "وعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته والبيئة المحيطة به بصورة قد تتجسد في الشعور بفقدان المعنى... ومركزية الذات"<sup>(42)</sup> وهذا ما سيسعى فخر الدين المعني لمقاومته وتحصين هويته.

إن فكرة التلاقي الحضاري فكرة تتجاوز رحلة رفاة الطهطاوي والشدياق والمرآش وعلي مبارك أعلام النهضة في القرن التاسع عشر إلى تجربة الأمير فخر الدين إلى إيطاليا، إن فكرة التلاقي الحضاري بين الشرق والغرب فكرة تنويرية فذة، وهي من خلال الأدب مسألة قديمة ضاربة في عمق نهضتنا الأولى؛ أكان في هيئة التواصل مع الأدب الفارسي أم اليوناني، لكنها كانت محكومة لشروط المتفوق الذي يحدد شكل التواصل وطريقته، المحكوم بمبادئ سامية ينطلق من هديها.<sup>(43)</sup> لكن هذه العلاقة في العصر الحديث، ما بعد خروج نابليون من مصر عام 1801 م ما عادت محكومة إلى تلك المبادئ السامية النيرة وفكرة الريادة المطلقة، بل باتت محكومة لفعل المستيقظ الغافل الذي فقد صوبه لقرون خلت. لقد اتخذت علاقتنا مع الآخر (الغرب) مناحي شتى وأشكالاً متعددة ووجوهاً مختلفة في إطار من الصراع والتفاعل<sup>(44)</sup>، ولم تقف هذه العلاقة عند "حد الانبهار به وبمنجزاته العلمية والإنسانية وتطوره المادي والثقافي، ولم تقف عند حدود التبعية، واستلاب الشخصية العربية من موروثها الحضاري ومقوماتها الإنسانية؛ لتتشيأ بمعايير الآخر وقيمه وأشكال حضارته، بل تعدتها إلى علاقة من نوع آخر، قوامها الوقوف على أشكال حضارة

إشكالية الهوية في رحلة الأمير فخر الدين المعني إلى إيطاليا (1613-1618م) بين تحصين النسق وتمهيش المرجعية (مقاربة ثقافية)

الأخر، ورؤية إنسانه على الطبيعة، فلم يعد العربي يثق بما تنقله الصحف، وما تحمله وسائل الإعلام عن الغرب ومنجزاته وقوته، وبخاصة في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وقد اتخذ هذا الوقوف طرقتاً متعددة أهمها الرحلة إلى بلاد الغرب، وتسجيل رؤيته وحواراته ومواقفه في أعمال روائية<sup>(45)</sup>.

إن حاجة النهضويين العرب لملء فراغهم الحضاري آنذاك كانت ملحّة إلى حد كبير، فوجدوا في طرح فكرة التلاقي الحضاري بديلاً لواقعهم الثقافي المبتور عن الحضارة العربية في شكلها التراثي، إذ كان لابد من رفق واقفهم بمرجعيات ثقافية يمكن التعويل عليها، فماجت المصطلحات الواصفة لهذه الحقبة، بين داعٍ للانغلاق، وآخر للانفتاح، وثالث للتبعية، ورابع يحذر من الصراع وصدام الحضارات، وآخر يدعو لعالمية الفكر والأدب وضرورة التنوع، وعلى ما يبدو أن الجاهزية الثقافية لمسألة الانفتاح لم تكن متوفرة عن الجميع، فتلونت هيئة الآخر في كتابات المثقفين، وهذا بحد ذاته جعل الأدب وسيلة فاعلة في التمازج الحضاري، مع عدم جاهزية الحضارة العربية لتصدير ولو قليلاً من قيمة ما استوردته<sup>(46)</sup>.

وواقع الأمر يحتم علينا أن نقتنع بضرورة مثل هذا التمازج فحاجتنا لمنجز الآخر ضرورة ملحّة، من باب إحداث بعض من التوازن المفقود بين حضارتين متزامنتين كان للأضعف حاجات لم تلب، وبما أن الجماعات الإنسانية "تختلف بصفة عامة في طريقة أو وسيلة إشباع تلك الحاجات، وذلك من مكان لآخر، ومن زمن إلى زمن، إلا أن كل جماعة إنسانية، صغيرة أو كبيرة، تصل في النهاية إلى تشكيل ثقافة لها، أي أسلوب معين لحياتها بما يتضمنه ذلك من آداب، وتقالييد وعادات ونظم اجتماعية وإنتاجية. ويأتي هذا الأسلوب الحياتي- أي الثقافة - ثمرة التفاعل بين الإنسان والكون ومتطلبات الحياة"<sup>(47)</sup>، ومثل هذا التشكيل الثقافي لا بد أن يكون محسوباً ومرتبباً بمرجعيات محسوبة، ومع عدم إهمال فكرة أن الحضارة الإنسانية واحدة ولكنها متعددة المستويات، إلا أن مسألة الخصوصية الثقافية مسألة لا بد منها لحماية توازن الحضارة ومنجزاتها المتنامية، مما يعني الوقوف مطولاً عند محددات ثقافية تتمثل في: الانغلاق، الانفتاح، التنوع، التبعية، الصدام أو الصراع، العالمية، الانهيار وفقدان الهوية<sup>(48)</sup>. إن ثقافة الآخر وجاهزيته كانت وقتها أقوى من أي اعتبار، فبريق حضارة الآخر يخطف الأبصار ويسير البصائر، وقد تركزت هذه الحضارة لاحقاً في "باريس" هذه المدينة الأوروبية العملاقة التي حققت حضوراً واسع الأبعاد في كتابات المثقفين العرب خلال قرنين من الزمان التاسع عشر والعشرين<sup>(49)</sup>.

لم تكن رحلة الأمير فخر الدين إلى إيطاليا شكلاً من أشكال التبعية المطلقة للآخر، وإن ذهب إليها بحثاً عن تحصين لهويته؛ إذ رفض الأمير في أكثر من موقف فكرة الانسياق للآخر، والنزول عند رغباته والتطابق معه بل اختار الانفتاح ووصف المنجز دون إطلاق الأحكام ونقد الذات. وهو في هذه الرحلة يصدر عن حالة اعتزاز وإجلال لعرويته التي تعيش حالة من التخوين والدسائس مع

أنه: "لم يخطر في بال المعني ذات يوم أنه سوف يكون لاجئاً سياسياً يطلب الحماية في تسكانا أو سواها من بلدان أوروبا ولكنها ضرورات اللحظة ومقتضياتها"<sup>(50)</sup>، هذا اللجوء مثل استراتيجية مهمة في تجميد مشروعه النهضوي وتحصين لذاته حيال حالة الاغتراب التي عانها جراء تقلبات السياسة، يقول: "فحاكاهم حضرة الأمير فخر الدين بما صار عليه، وأنه جا يلتجي إليهم إلى وقت أن يفرج الله" (الرحلة، ص 38)، وما يؤيد إصراره على تقديم مشروعه حرصه على استطلاع الفروق الحضارية مع أوروبا ورصد المهم الضروري دون أن يظهر بصورة المنبهر والمفرط الانبهار بالإعجاب، من هنا نجد الأمير فخر الدين ينحى أسلوباً وصفيّاً لا تسرع فيه ولا عاطفة.

يخوض الأمير فخر الدين رحلته إلى أوروبا كضيف سياسي مرحّب به لدى أمراء تسكانا وإسبانيا وصقلية ومالطة، فهو ضيف مهمّ ورجل دولة يهابه العثمانيون، وعليه أن يلتفت إلى كل ما يمكن أن يزيد في علمه ومعرفته بوصفه قائداً لا رحالة، وأن يرصد بدقة نظام الدول المتقدمة وأسباب تفوقها وعوامل ازدهارها، وهذا ما كان عليه الأمير فخر الدين في رحلته، فاستظهاه لهذه الحثيات مهم جداً كنسق ظاهر مُعجب بالآخر، وبحياته المدنية المنظمة، في مقابل نسق مضمّر غير مقصود صنعه خوف المبدع المتأصل من سلطانه الذي يجبره على دفع ضريبة التفوق، على قاعدة "جزاء سنمار"، هذا النسق يحمل نقداً عميقاً لحياته كأمر عربي موالٍ للباب العالي دُفع للتعامل مع كل الدسائس والخيانات في ظل سلاطين متعاقبين لا يقدرّون جهده النهضوي ويقدمون تصديق الواشي على تأمل الواقع المتحضّر الذي يُقرأ على أنه نبوغ في غير محله، نبوغ يهدد عروشهم.

لقد عمد الأمير فخر الدين في رحلته إلى استظهار تفوق الآخر واستبطان هويته ومرجعياته. إن النسقالظاهر للإعجاب بالآخر والتألف معه والاحتفاء به خبأ في طياته نسقاً ثقافياً مضمراً لا يتورع من جلد الأنا ومساءلتها، وقد تجلّى هذا النسق المهمش لثقافته العربية في جملة من المظاهر، هي على النحو الآتي:

#### أولاً - مظهر الاعتزاز بالأمير والاحتفاء به:

أبرز الأمير في رحلته فيما أبرزه مظاهر الاحتفاء به في أوروبا بوصفه ضيفاً خاصاً ومرحّباً به من قبل أمراء المقاطعات والدويلات والمدن التي زارها وولاتها. وعلى رأسهم "الفران دوكا" حاكم تسكانا الذي استقبله في مدينة فلورنسة. يقول الأمير فخر الدين: "ولما دخلوا إلى الدار في المكان المعظم يلاقوا الدوكا مع دولته وحرمته، وأكابر جماعته، فسلموا عليهم، وعادة سلامهم أن الأصغر في المقام يمد يده إلى قرب الأرض ويرد يده إلى عند فمه، ويحني قامته للسلام. فلما سلموا عليه على عادتهم، رحّبوا فيهم، وطيبوا خواطرهم وأمرهم في النزول في البلاص (القصر) القديم" (الرحلة، ص 43). وقد سبق هذا الموقف مشهد آخر يختص بالأمير

فخر الدين من قبل عم الغران دوكا حاكم تُسكانا. أما ما تبع هذا الموقف فهو تخصيص دخل شهري ثابت ووافر للأمير وأهله ومعاونيه من قبل الحاكم: "وأَنه تعيّن لهم خرجٌ جزيلاً بجميع ما يحتاجونه بالزائد" (الرحلة، ص 57). إن مثل هذا التوقف من قبل الأمير فخر الدين الثاني ليعكس مدى توقه لأن يحظى بمكانته الحقيقية كأَمير حكيم جليّ البصيرة همّة البلاد والعباد، إنها تظهر مدى افتقاره لاحترام مماثل في بلاده من قبل الباب العالي، بدلاً عن مراقبته وتصديق وشايات خصومه. إنه يبرز فعل الأوروبيين الحضاري المحكوم لعهود ومواثيق وقعتها معهم يجني ثمارها اليوم.

كما أنه عندما تلقى دعوة كريمة من حاكم منطقة مسينا الإسبانية خيرمُضيفه حاكم تُسكانا في أن يلبي الدعوة أو يبقى ضيفاً عنده: "ولما كان الأمير فخر الدين في فرنسا (فلورنسة) عند الدوقا حاكم طوسقانا جاء مكاتيب من باشة مسينا الذي هو تحت يد سلطان إسبانيا خطاباً إلى الغراندوكا يذكر جا أمر من سلطان إسبانيا يأمره أن يطلب حضرة الأمير فخر الدين من الغراندوكا يرسله إلى مسينا، فأرسل الغراندوكا جماعته لعند الأمير، وأعلمه بذلك، وقال له: سلطان إسبانيا أمر بأنك تروح لعند باشة مسينا، وأنت كيف خاطر؟ فقال لهم: إن أمرتونا نروح، فقالوا له: نحن ما نكلفك لا في الرواح، ولا في الإقامة؛ أغربتنا رايحة إلى مسينا، انكان لك خاطر حتى نرسلك بها، فأعطى رضا بذلك" (الرحلة ص 75-76).

إن تركيز خطاب الأمير فخر الدين على تلك التفاصيل التي لم نتعود مثلها في بقية أرجاء الرحلة ليؤكد حاجته الملحة لتبوي مكانته التي يستحق بوصفه قائداً فذاً، إنه بذلك يهَمْش فعل حضارته العربية ويغيّبه مقابل إبراز فعل حضاري غربي يحتاج لمثله. وهو إن همّش أفعال حضارته العربية التي جعلت منه لاجئاً سياسياً لا يغيّب عن ذهنه جبروت الباشوات وولاة بني عثمان في مضايقته والتعدي على إمارته. وقد تكرّر مثل هذا التوجيب والاحتفاء به عندما وصل إلى بليرمو في صقلية (الرحلة ص 84)، ونابل في إيطاليا التي خصّص فيها له قصرًا كاملاً دون أجر (الرحلة ص 87)، ومما يؤكد اعتزاز الأمير بنفسه ومحافظته على ولائه للباب العالي ولماضي أسرته عدم تفصيله في ما يواجهه من أفكار في بلاده وعن واقعهم المرير هناك، بل اكتفى باستعراض ما يمكن أن يجعل الغرب (الأخر) متفوقاً على الشرق (الأنا). وفي ذلك حنكة سياسية لم يجد لها قيمة ولا صدى في نفوس العثمانيين.

#### ثانياً - مظهر الدولة القوية المنظمة:

والأمير فخر الدين بوصفه أميراً على لبنان وموالٍ للباب العالي كان لزاماً عليه أن يقف عند أنظمة الدول القوية للتأمل فيها واستعارة ما يمكن أن ينهض بإمارته، لذا نجده يتوقف عند كل ما يميّز أنظمة الدول كاحترام القانون وحماية تطبيقه فهناك قانون صارم للعقوبات، ومن يُعاقب

"لا يمكن ينطلق عندهم بمال ولا بشفاعه ابدأ" (الرحلة 65)، فالعدالة تسود المجتمع، والمجتمع الذي تسوده العدالة مؤهل للتقدم والنمو والازدهار، وهذا العنصر يشكل نسقاً مضمراً، مما يفتقده الأمير فخر الدين في دولته.

ومن الجمل النسقية ذات الإضمار قوله: "وشروطهم وأقوالهم ما فيها تغيير ولا تبديل أو تسليم تضل (تظّل) البلاد العامرة على عاداتها" (الرحلة، ص 66)، وهذا ما لا يحدث في بلاده فالموثيق والعهود عرضة للتبديل على الدوم. كما أن لديهم في أوروبا نظاماً محكماً للجنديّة أو ما يسمى بالتجنيد الإجباري: "ومن عوايد بلادهم أن الحاكم يكتب عسكر من بلاده غير الغريبة (الغرباء) يوقفوا لهم ناس يعلموهم رمي البندق (البندقية)، ونقل السلاح، ويبقوا على هذا الحال سنتين ثلاثة حتى يكملوا تعليم ذلك، ويعودوا يروحوا إلى أشغالهم، ويجيبوا ناس عوضهم من بلادهم، ويعلموهم نقل السلاح مثل الأول، ويبقوا على هذا الحال حتى يعلموا جميع أهالي بلادهم نقل العدة والسلاح" (الرحلة، ص 75). هذا النظام العسكري يقابله نظام محكم آخر لسجون الأسرة والمجرمين (الرحلة، ص 74) وصناعة البارود (الرحلة، ص 50) يكفل هياكل الدولة ويردع كل خارق لأنظمتها، ومثل هذا الوصف لنظام الجنديّة والسجون يتم بعين قائد يفكر بصناعة الاستقرار في بلاده المطوّقة بمطامع باشوات العثمانيين وولايات المقاطعات وشيوخ القبائل، إنه يبحث عن الجديد من الخبرات لتكون عوناً له في منطقة إمارته واستقرارها.

ومن الأنظمة والقوانين التي لفتت انتباه الأمير فخر الدين نظام تعيين الباشوات وعزلهم فمدينة نابل (نابولي) "لها سبع باشات، وعزلهم وتوليتهم بيد باشة نابل، وعادت سلاطين النصرى إذا أعطوا باشوية إلى أحد يولوا باشتهم ثلاث سنين. إذا كان راضي منه السلطان والرعية يجيبوا له تقرير ثاني ثلاث سنين آخر، وإذا صار شيء مخالف عن قاعدتهم على الأبد ما يعودوا يعطوه منصب، ويلزم بيته" (الرحلة، ص 89). ومثل هذه الشواهد وغيرها تعكس شعف الأمير فخر الدين باحترام النظام والقانون احتراماً يفضي إلى قيمة الاستقرار التي يفتقر إليها بوصفه أميراً موالياً للباب العالي.

أما عن أنظمة الحياة المدنية المتصلة بالعامّة فقد أسهب الأمير فخر الدين في رصدها وإبرازها بوصفها مظاهر تدل على الرقي، ومن ذلك النظام الاقتصادي لتلك الدول من بنوك وضرائب وأموال ونفقات، يقول: "وكذلك لهم مواضع مثل الوكالات محصنة تسمّى البنك وله ناس بعلوفة (راتب) ينظروه، ويدوروا حوله في الليل، وكل من كان معه دراهم زائده، وما له خاطر في التجارة منها، أو مال لولد ما له قدرة على التجارة يبسلم المال إلى الأكابر المتعيين في البنك ويأخذوا منه تمسكا (وصلا)، وفي سياق آخر يقول: "ومال المدينة له كتاب وحساب تضبطه

وحده، وهذا المال يتصرف إلى مبنيات مثل الصور والدروب، وجسور، وبلاط أزقة، وما شاكل ذلك للمدينة والبلاد، ومهما فضل يعملوه خزينة" (الرحلة ص 64).

إن مثل هذا النظام الدقيق يكفل استقرار الدولة وهيبتها، ويدفع الناس إلى الزراعة والتجارة والصناعة بأمان فتزدهر البلاد، والأمير فخر الدين في ذلك يستبطن مقابل ذلك الأتاوات والهدايا الإجبارية التي لا بد من دفعها لتثبيت كرسي الإمارة وهي أموال تؤخذ من صغار الكسبة وعرق الفلاحين والعمال. حتى في حديثه عن دار السكة وآلاتها وصناعة النقود والضرائب التي تؤخذ عند بوابات المدينة فإنه يرصدها بعين الخبير الشغوف ببناء إمارته وازدهارها.

لقد تركزت على لسان الأمير فخر الدين في معرض إعجابه بالنظام الذي تسير عليه أوروبا بأن "بلادهم معمورة مضبوطة بالإطاعة والنيابة (أي بالراحة وهدوء البال)". (الرحلة، ص58،52)، وكل ذلك متأت من حالة الانضباط التي يفتقر إليها في إمارته التابعة للباب العالي، يقول الأمير فخر الدين: "ولهم عوايد شتى، وضبط وانتظام وعمارة لبلادهم. ولهم كتب في تفصيل ذلك في الحكم والحكومة يمشوا عليها" (الرحلة، ص 66)، وهذه إشادة مطلقة بما وصلوا إليه من تفوق ونهوض، حتى إنه عندما استأذن حاكم تسكانا لزيارة إمارته خفية التزم السفينة (الرحلة، ص 79)، ولم تطأ قدمه الأرض حفاظاً على حياته، وإنما صعد رجال إمارته إلى المركب للاطمئنان عليه، وفي ذلك احترام لشروط الضيافة ووفاء للمضيف، يقول: "لما فارقتنا الباشا من مدينة نابل ما شورناه على النزول للبر، ولا خطر ذلك لنا، والقبطان ما يفعل هذا الشيء بغير أمر أستاذه، لأن النصاره عندهم طريق وأحوال غير سمت ديرتنا" (الرحلة، ص 79). وعبارة "غير سمت ديرتنا" نسقية مضمرة تصب في نقده المبطن لبلاده وظروفها الصعبة التي تتأبى على التطور والتقدم لغياب الانضباط وشيوع الدسائس والوشايات.

وقد تكرر مثل هذا الانضباط من الأمير فخر الدين عندما أراد أن يعود نهائياً إلى بلاده لبنان، فلم يتحرك مركبه إلا بعد أن حصل قبطان المركب على تصريح من حاكم تسكانا. إن أكثر ما كان يلفت انتباه الأمير فخر الدين في رحلته نظام الدولة وانضباطها ومرافق الحضارة وملاح المدنية التي يرصدها بنهم، بعيداً عن أسلوب المقارنة الكاشف، فيحافظ على إضمار نسق نقد حضارته العربية بتمثيلات من التهميش.

### ثالثاً - المظاهر المدنية:

لم يكتف الأمير فخر الدين بالوقوف عند نظام الحكم وانضباطه في أوروبا، بل توقف عند مظاهر مدنية مهمة يتوق لتطبيقها في إمارته، فعلى سبيل المثال يتوقف عند فن الطباعة وتداول الكتب والمطبوعات، يقول: "وكذلك في بلادهم يطبعوا كتبهم الذي بلسانهم، وفي لسان عربي، والطبع له قوالب مربعة، والحرف في راس القالب، وكل حرف له قوالب عديدة، يعملوا لوح من

خشب له تاريخ على طول القالب الذي فيه الحروف، وإذا ارادوا يعملوا كتاب يصفوا الحروف على جميع الكلام الذي في صفحة الكتاب، وعلى صف كل صفحة شاهية كرى (أجرة معلومة)، وإذا انفضوا من صف الصفحة الذي مرادهم ينقلوها يدهنوا الوجه بالحبر، ويكون الحبر محطوطا في إناء، وفوق القوالب على قدّه خشبه بلولب يحطوا ورقة البياض فوق القوالب... الخ" (الرحلة ص66)، ويختتم هذا الحديث (الذي هو بمثابة اكتشاف مهم له) عن آلية الطباعة وقتها بإشارة ثقافية مهمة يقول فيها " بهذا الوجه الكتب رخيصة عندهم في بلادهم "، وكأنه يقول إن الكتاب في بلاده لا قيمة له مع أنه باهظ الثمن، إن العلم هو أساس نهضة الشعوب ورقبها. وفي بلاده يبحث العربي عن لقمة عيشه كفافاً دون جدوى، ومع أن فن الطباعة شغل اهتمام الأمير فخر الدين في رحلته إلا أننا لا نجد يتوقف عند التعليم والنظام التربوي.

ومما لفت انتباه الأمير النظام الصحي والبيمارستانات (ص60)، وأكثرما أعجبه فيها مجانية العلاج للجميع، فلا كلفة على المرض؛ لأن الكلفة تدفع من الأوقاف، وبهذا يتحقق مظهر من مظاهر العدالة الاجتماعية التي يفتقر إليها العربي في بلاده. لقد بلغ تطور النظام الصحي لديهم الحد الذي منع فيه الأمير من دخول أوروبا قبل فحصة والتأكد من سلامته (الرحلة، ص39-40).

ومن المظاهر المدنية التي نظر إليها المعنى نظر المُعجب المتفهم لثقافة الآخر، تلك الخدمة التي تقدمها الأديرة لإيواء الأولاد غير الشرعيين وتربيتهم وإعادة تأهيلهم اجتماعيا ليكونوا أفراداً، فاعلين في مجتمعاتهم: " وهذا الدير له طاقة من رخام على قدر ما يسع الولد، حين يخلق تجيبه الحرمة ملفوفاً، وترميه في الليل من هذه الطاقة، ولها ناس ينتظروها من جواً، وإذا نزل الولد يستلقوه ويعطوه إلى المراضع يدبروه. وإذا كبروا الأولاد يحطوهم في القراءة والصناعة" (الرحلة ص 61). والأمير فخر الدين في ذلك لا يعلن استيائه من ظاهرة الأولاد غير الشرعيين، بل يستوعب ثقافة الآخر وشروط حياته، بينما في المقابل العربي تحصد حروب الولاة والباشوات من حوله آلاف الأرواح لأناس شرعيين يدفعون ثمن مطامع حكامهم وشيوخهم، وكأن الحياة لا قيمة لها عندهم، بينما الأوروبي صانع النهضة يبحث عن الحياة ويبسر سبلها ما أمكنه ذلك.

لقد تعددت مظاهر الحياة المدنية التي توقف عندها الأمير فخر الدين وأعجب بسياسة الولاة هناك في تسييرها وتهيئتها لعامة الناس، وكان الحضارة تنهض في مختلف جوانبها، فالطرق مثلاً لها من يحميها ويرعاها ولها وناسها الذي يشرفون عليها، ورواتب تجرى عليهم (الرحلة، ص 68). كما أنّ القصور لها رونقها وحُماتها، والمتاحف التي تخلد الماضي ماثلة في نهضتهم، ولتقاليد المبارزة وحفلات الرقص شروطها ضوابطها.

لقد اهتم الأمير فخر الدين أي اهتمام برصد هذه المظاهر الحضارية وبتقديمها دون حكم أو انبهار أو نقد؛ إنه يرسم صورة لما يجب أن تكون عليه بلاده المحاطة بالدسائس والفتن، إن



إشكالية الهوية في رحلة الأمير فخر الدين المعني إلى إيطاليا (1613-1618م) بين تحصين النسق وتمهيش المرجعية (مقاربة ثقافية)

مثل هذه الوقفات الوصفية من الأمير هدفها تشكيل نسق مُعجب بمظاهر الحضارة الأوروبية يقابله نسق مضمّر يرثي فيه حياة الأقاليم العربية المنشغلة بتوسيع النفوذ واحتلال الأقاليم والمقاطعات والتهافت على إرضاء الباب العالي وباشواته.

#### رابعاً - المظاهر الإيديولوجية:

لم تخلُ الرحلة من بعض الإشارات الإيديولوجية والعقدية التي تثبت تمسك الأمير بعقيدته وحرصه عليها على الرغم من حالة الاستياء التي يعيشها جراء لجوئه السياسي وخذلان الباب العالي له وهو من شيد وعمّر وطوّر. ومن شواهد ذلك حرصه على تناول الطعام المتوافق مع الشريعة الإسلامية، فعندما عيّن له حاكم تسكانا خدماً وطباخين أصرّ على أن يكون الذبح حلالاً: "ولما علموا أن الأمير ما مراده ياكل إلا من ذبيحة المسلمين بقوا رجال من جماعته حتى يذبوا" (الرحلة، ص44)، وهذا تمسك بهويته، وفي سياق آخر يُظهر حرصاً عقدياً يحسب له، ففي حديثه عن أديرة الكبوشيين الذين لا يلبسون إلا الصوف ويحلقون أواسط رؤسهم ويضعون الأكليل عليه تشبهاً بالمسيح عليه السلام يقول: "لأجل الشوك الذي حفوه اليهود على رأس المسيح يوم صلبه على زعمهم" (ص 62) فيستخدم عبارة "على زعمهم" حتى لا يوافقهم في ذلك، وفي ذلك تحصين لهويته.

أما الموقف العقدي الأخطر الذي واجهه الأمير فخر الدين في رحلته فهو تلقيه عرضاً لاعتناق النصرانية من باشا نابل (نابولي) قائلاً: "إن كان الأمير فخر الدين يدخل في ديننا نعطيهِ حكم على قدر ما كان عاطيه سلطان المسلمين في بلاده وأزيد، وإن كان ما يرضا بذلك إن أراد يقعد، وإن أراد يروح لبلاده. فقال له: نعرض الكلام على الأمير، ونجيب لك الجواب. فجاء الشيخ ناصر الدين أحكا للأمير ذلك؛ فقال له الأمير: روح ردّ الجواب على الدوكا، وتشكر من سلطان إسبانيا ومنه، وقول له: الأمير قال: ما جينا إلى هذه البلاد لا كرامة دين، ولا كرامة حكم، بل لما جاء علينا عسكر ثقيل جينا احتمينا عندكم، واحميتوا راسه، وراعتوه، ولكم بذلك الفضل والجميل والمنه. وإن أردتم هو قاعد عندكم بتوابعه على حاله، وإن أرسلتوه إلى بلاده فهو المراد لأن له أهل وتوابع وبلاد" (الرحلة، ص 94). لقد أظهر الأمير حرصاً وحكمة في رده، واعتزازاً بدينة وعرويته وهويته الجريئة، على الرغم من المضايقات التي تهدده في إمارته في لبنان وما حوله إلا أن التمسك بالعقيدة أسمى وأهم.

وفي المقابل، لم يتردد الأمير فخر الدين في وصف الكنائس والحديث عنها وعن الأديرة، يقول: "ومن عجائب المدينة الكنيسة القديمة من برا رخام وتساوير الحواريون والتلاميذ بكلفة عظيمة، ولها مادنة مربعة مبنية بالرخام الملون... وأعظم من ذلك الكنيسة الجديدة الذي بدا في بنائها أبو الدوكا وهي أصغر ولكن عظيمة الشغل، لأن عامل من جواً حيطانها في الحجر الملون

ونقشها من حجر فيه حجر وبين الحجر والحجر صفايح نحاس باينه من المزمك بذهب (محشو) وجميع بنديرات سلاطين النصارى مصورة في حيطانها في الحجر الملون" (الرحلة، ص 49). وهو بهذا الوصف لا يخفي إعجابه بروعتها وحسن بنائها، وهذا كله يندرج تحت تفهمة لثقافة التسامح الديني التي يرى فيها نهجاً لا بد منه، ولا يتردد في ذكر تفهم الأوروبيين في المقابل لثقافة الآخر، فهذا أحد جوامع الفاطميين في "بليرمو" باقٍ على حاله دون مساس على الرغم من أن الجزيرة ما عادت تحت الحكم الإسلامي، إلا أن أهل الجزيرة لم يحاولوا طمس معالم الآخر وإخفاء هويته، إن هذا التمسك بالعقيدة واحترام عقيدة الآخر نسق ثقافي جاد أظهره الأمير فخر الدين رداً على نسق مضمّر يرى فيه بعض أحوال البلاد العربية بعيدة عن هذا التفهم واستيعاب ثقافة الآخر، بل واحتضان مفردات الأنا.

### الخاتمة:

إن ما قدمه الأمير فخر الدين الثاني تم رصده بعين قائد عربي محنك لا رحالة هاوٍ منبهر بتفوق الآخر أو متعصب لثقافته العربية، فعمد الى اختيار ما يريد وعزل ما رأى فيه غير مناسب، إذ لم يكن منشغلاً بالتسجيل، بل بتشكيل المشهد وتصويره، وكأنه ينتقي لإمارته حلة يريد إلباسها إياه بعيداً عن جيروت باشوات الباب العالي وولاته. لقد حقق المعنى في رحلته إلى إيطاليا عام 1613م أسبقية لا يمكن تجاوزها في تأسيس مشهد حضاري قائم على التفاعل بين حضارتين تمثلان الأنا (المقصاة) والآخر (المقرب). فجاء العمل وثيقة تدون جوانب مهمة من مدنية أوروبا إبان القرن السابع عشر الميلادي الذي يمثل البدايات الحقيقية للنهضة الأوروبية.

لم تقع الرحلة في فخ الانبهار بالآخر وتبعيته، بل سارت على مبدأ الانفتاح والتعامل مع الآخر كشريك لا قدوة، فهو محاولة مبكرة جداً على سبيل النهضة والتقدم، والمعني، وإن ركز على مظاهر تقدم الآخر، حرص على تحصين هويته في تلمس ما تلمح إليه نفسه للنهوض بأمتة. كما أن لغة الرحلة تعكس حالة الانحدار العلمي والثقافي الذي طال أساليب العربية وقواعدها وقاموسها، فسياسة التجهيل أتت أكلها، وأصبح العلم والتعليم في حالة احتضار. إن البحث في أسباب قوة الآخر والاحتفاء به تعرية لإشكالية الأنا (الهوية) لديه وتهميش لمرجعياته العربية التي يخشاها ويريدها معاً، إذ قلصت هذه الرحلة الفارق العقدي بين الأنا والآخر، كما أن الأمير فخر الدين لم ينشغل في مناقشة عقيدة الآخر ومساءلتها، ولم يجهد في وضع مقارنة لإيديولوجية كانت متوقعة فوصف أكثر مما قيّم.

## **The Problem of Identity in Prince Fakhruddin's Journey to Italy (1613-1618) Between the Fortification of the Pattern and the Marginalization of the Reference (Cultural Approach)**

**Nidal Al-Shamali**, *Department of Arabic Language, Al Balqa Applied University, Amman, Jordan.*

**Abbas A. Abbas**, *Department of Arabic Language, Open Arab University, Amman, Jordan.*

### **Abstract**

This paper draws its importance from two angles. First, it deals with a marginal Arabic text that was born in the seventeenth century. Second, its use of cultural criticism in clarifying the text's components as cultural criticism is a partner of literary criticism.

The traveler's text is not written by a traveler, a geographer, a writer or an ambassador, but it is written by an Arab prince, Fakhr al-Din al-Ma'in II (1634), who made his journey to Italy between 1613 and 1618. It was a journey which he had to make to save blood and to escape the surveillance of the Ottoman Empire. During his administration, he founded a development project in Sidon, Beirut, Bekaa, and Tripoli. It's a project based on urbanization, fortification of castles, development of agriculture, expansion of trade horizons with the Franks, collecting wealth and provisions, and making use of Europeans experiences. However, this did not satisfy some of the statesmen of the Ottoman Empire. He was threatened, so he had to travel to Italy for some time, and this migration prompted him to write down his most important observations that have modern, civil, and reforming dimensions. Despite his Syrian, colloquial language indicating the dominance of ignorance, his journey had some significant cultural references that cannot be represented except in cultural criticism, the least was that the Prince got to know the secrets of European civilization superiority more than a century and a half before Napoleon's invasion of Egypt in 1798.

Hence, this study uses cultural criticism to describe travel literature as a cultural event that raised some questions about identity and the "other," overt and covert cultural patterns that are embodied in statements of rejection, slander, and coercion, on the one hand, and statements of acceptance, praise, and celebration, on the other hand. Prince Fakhruddin's journey represents an early civilized encounter between the East and the West and such encounter barely existed in the pre-Arab "Nahda" literature. This journey represents the behaviors, practices, and cultural concepts dominating his own age. This leads us to do a cognitive approach in the light of the culture in question without involving into historical, political, and social contexts of the journey.

**Keywords:** Travel literature, Cultural patterns, 17<sup>th</sup> century, European civilization, The other.

## الهوامش

- (1) حنفي، حسن: تحليل الخطاب، الأردن، جامعة فيلادلفيا، وقائع المؤتمر العلمي الثالث، 1997، ص 27.
- (2) عليمات، يوسف: النسق الثقافي، إربد، عالم الكتب الحديث، 2009، ص 1.
- (3) الغدامي، عبد الله: النقد الثقافي، بيروت، المركز الثقافي العربي، 2000، ص 48.
- (4) المرجع نفسه: ص 48.
- (5) الشنطي، محمد: الغدامي من النقد الألسني إلى النقد الثقافي، السعودية، جريدة الجزيرة، عدد 1001، الخميس 2000/2/24.
- (6) الرويلي، ميجان والبازي، سعد: دليل الناقد الأدبي، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000، ص 46.
- (7) عليمات، يوسف: جماليات التحليل الثقافي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004، ص 27.
- (8) الغدامي: النقد الثقافي، ص 42.
- (9) ص ص 7-8.
- (10) المرجع نفسه: ص 13-14.
- (11) المرجع نفسه: ص 15-16.
- (12) Childers, J. and G. Hentzi: Columbia Dictionary of Modern Literary and Cultural Criticism, Columbia University Press, NewYork, 1995, P. 131.
- (13) انظر: المرجع نفسه: ص 18. وإيغلتن، تيري: الثقافة في طبعاتها المختلفة، تر: ثائر ديب، مجلة الكرمل، ع70-71، 2002، ص 115.
- (14) المرجع نفسه: ص 23.
- (15) ليتها، فنسنت: قراءة النصوص، ترجمة مصطفى بيومي عبد السلام، مجلة نوافذ، النادي الأدبي بجدة، عدد 40، 2011، ص 54.
- (16) المرجع نفسه: ص 32.
- (17) الغدامي، عبد الله: "النقد الثقافي رؤية جديدة"، القاهرة، مجلة فصول، ع 59، ربيع 2002، ص 48.
- (18) المرجع نفسه.
- (19) الغدامي: النقد الثقافي، ص 71.
- (20) الغدامي: النقد الثقافي رؤية جديدة، فصول، ص 50.

إشكالية الهوية في رحلة الأمير فخر الدين المعني إلى إيطاليا (1613-1618م) بين تحصين النسق وتهميش المرجعية (مقاربة ثقافية)

- (21) المرجع نفسه: ص 50-51.
- (22) الغدامي: النقد الثقافي، ص 76.
- (23) جاسم، جاسم محمد: "النقد الثقافي وآليات إنتاجه"، مجلة الموروث، العدد 39، أيار 2011، <http://www.iraqna-iq.com/fp/journal39/30.htm>
- (24) مقدمة رحلة الأمير فخر الدين إلى إيطاليا (1613 - 1618)، تحقيق قاسم وهب، دار السويدية، الإمارات، ط1، 2007، ص 15.
- (25) المرجع نفسه: ص 17.
- (26) رحلة الأمير فخر الدين إلى إيطاليا (المقدمة)، ص 16.
- (27) بازيللي، قسطنطين: سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، موسكو، دار التقدم، 1989، ص 30.
- (28) رحلة الأمير فخر الدين إلى إيطاليا (المقدمة)، ص 19.
- (29) علي، محمد كرد: خطط الشام، مكتبة النوري، ط3، 1983، 251/2.
- (30) بازيللي: سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ص 33.
- (31) المرجع نفسه، ص 32.
- (32) المرجع نفسه ص 40.
- (33) المحامي، محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت، دار الجيل 1977، ص 17.
- (34) الزركلي، خير الدين: الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط8، 1989، 137/5-138.
- (35) رحلة الأمير فخر الدين إلى إيطاليا (المقدمة)، ص 17.
- (36) بازيللي: سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ص 30.
- (37) المرجع نفسه ص 31.
- (38) رحلة الأمير فخر الدين إلى إيطاليا (المقدمة)، ص 19.
- (39) المرجع نفسه، ص 13-14.
- (40) المرجع نفسه، ص 23.
- (41) عمار، حامد: في التنمية البشرية وتعليم المستقبل، مكتبة دار العربية للكتاب، القاهرة، 1999، ص 148.
- (42) أحمد، صلاح الدين: الاغتراب النفسي والاجتماعي، مكتبة مديولي، القاهرة، ط1، 2008، ص41.
- (43) الشمالي، نزال: "الوعي بالآخر، نظرة مبكرة في أدب التفاعل الحضاري الحديث: "رحلة باريس 1867" لفرنسيس المرآش أنموذجا"، الجزائر، حوليات التراث، جامعة مستغانم، عدد 8، 2008، ص 93-95.

- (44) عليان، حسن: العرب والغرب في الرواية العربية، عمان، دار مجدلاوي، ط1، 2004، عمان، ص7.
- (45) المرجع نفسه، ص73.
- (46) الشمالي: الوعي بالآخر 2008، ص 93-95.
- (47) فهميم، حسين محمد: أدب الرحلات، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 138، حزيران، 1989، ص 51-52.
- (48) الشمالي: الوعي بالآخر، ص 93-95.
- (49) الشيخ، خليل: باريس في الأدب العربي الحديث، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1998، ص 14.
- (50) رحلة الأمير فخر الدين إلى إيطاليا (المقدمة)، ص 24.

#### قائمة المصادر والمراجع

- أحمد، صلاح الدين: الاغتراب النفسي والاجتماعي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2008.
- ايغلتنون، تيري: الثقافة في طبعاتها المختلفة، تر: ثائر ديب، مجلة الكرمل، ع70-71، 2002.
- بازيلي، قسطنطين: سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، موسكو، دار التقدم، 1989.
- جاسم، جاسم محمد: "النقد الثقافي وآليات إنتاجه"، مجلة الموروث، العدد 39، أيار 2011.
- حنفي، حسن: تحليل الخطاب، الأردن، جامعة فيلادلفيا، وقائع المؤتمر العلمي الثالث، 1997.
- الرويلي، ميجان والبازعي، سعد: دليل الناقد الأدبي، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000.
- الزركلي، خير الدين: الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط8، .
- الشمالي، نضال: "الوعي بالآخر، نظرة مبكرة في أدب التفاعل الحضاري الحديث: "رحلة باريس 1867" لفرنسيس المرآش أنموذجاً"، الجزائر، حوليات التراث، جامعة مستغانم، عدد 8، 2008.

إشكالية الهوية في رحلة الأمير فخر الدين المعني إلى إيطاليا (1613-1618م) بين تحصين النسق وتهميش المرجعية (مقاربة ثقافية)

الشنطي، محمد: الغدامي من النقد الألسني إلى النقد الثقافي، السعودية، جريدة الجزيرة، عدد 1001، الخميس 2000/2/24.

الشيخ، خليل: باريس في الأدب العربي الحديث، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 1998.

عليان، حسن: العرب والغرب في الرواية العربية، عمان، دار مجدلاوي، ط 1، 2004، عمان.

عليما، يوسف: النسق الثقافي، إربد، عالم الكتب الحديث، 2009.

عليما، يوسف: جماليات التحليل الثقافي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004.

عمار، حامد: في التنمية البشرية وتعليم المستقبل، مكتبة دار العربية للكتاب، القاهرة، 1999.

الغدامي، عبد الله: "النقد الثقافي رؤية جديدة"، القاهرة، مجلة فصول، ع 59، ربيع 2002.

الغدامي، عبد الله: النقد الثقافي، بيروت، المركز الثقافي العربي، 2000.

فخر الدين: رحلة الأمير فخر الدين إلى إيطاليا (1613 - 1618)، تحقيق قاسم وهب، دار السويدي، الإمارات، ط 1، 2007.

فهيم، حسين محمد: أدب الرحلات، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 138، حزيران، 1989.

ليتش، فنسنت: قراءة النصوص، ترجمة مصطفى بيومي عبد السلام، مجلة نوافذ، النادي الأدبي بجدة، عدد 40، 2011.

المحامي، محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت، دار الجيل، 1977.

Childers, J. and G. Hentzi: *Columbia Dictionary of Modern Literary and Cultural Criticism*, Columbia University Press, New York, 199.